الفصل الخامس
النمو الاجتماعي

- النمو الاجتماعي والخلقي
- خصائص النمو الاجتماعي
- تطور السلوك الاجتماعي للمراهقين
- الشخصية والنمو الاجتماعي
- نمو العلاقات الاجتماعية الناضجة
- علاقة مفهوم الذات بالأدوار الاجتماعية
- ولاء المراهقين وجماعة الرفاق
- الأسرة
- الوظيفة النفسية للمنزل
- الاتجاهات نحو الآباء
- علاقة الوالد بالمراهقين وتكوين الهوية
- العوامل المؤثرة على النمو الاجتماعي
- تعقيب وتوصيات

النمو الاجتماعي والخلقي

إذا أراد الإنسان أن يعيش في سعادة لا يمكن أن يكون وحيداً، فالسعادة مرتبطة بالوجود مع الغير. فلا يمكن أن نعزل أبناءنا عن الآخرين بحجة الخوف من الانحراف وليس من المنطق أن لا نأمر الفرد بالنزول في البحر وهو لا يعلم السباحة بحجة أن البحر سوف يعلمه، ولكن من المنطق أن تعلمني السباحة ثم اتركني في البحر .

وهكذا على الآباء إتاحة الفرصة للأبناء ليتعلموا كيف يتعاملوا مع المجتمع، وكيف يحافظون على أنفسهم في الوقت المناسب، وكيف يواجهون كل مشكلة اجتماعية تقابلهم.

إن بداية المراهقة بقدر ما هي فترة حرجة فى حياة الفرد فهي فى الوقت ذاته مرحلة تطور اجتماعي وتكيف للحياة .

وإن المجتمعات العالمية عامة والمجتمعات العربية خاصة تمر بمرحلة انتقال اجتماعي في منتهى الأهمية وليس أدل على ذلك من التغيرات الحضارية والعمرانية والاقتصادية التي تمر بها منطقة الخليج العربي في عصر النفط حتى أصبحت نقطة التحول هذه بين الوضوح بحيث يبرز ما قبلها وما بعدها بعدة مسميات هي في الواقع أنماط سلوكية متعددة نتيجة التركيبة المعقدة لهذه المجتمعات فالانتقال من مجتمع بدائي إلى مجتمع عصري متطور في غاية صور الحضارة والطفرة من مجتمعات زراعية رعوية إلى مجتمعات صناعية اقتصادية استهلاكية لم تحدث تغيراً

فقط في حياة الأفراد وأنماط السلوك بل في تكوين الأمم بشكل عام ونتيجة لهذه التغيرات انعكس على الفرد والجماعة كل ألوان الصراع الفكري والنفسي وأشكال التناقض الواضح بين القديم والجديد نتيجة طبيعية كمراحل الانتقال وأول من يتأثر بهذه التغيرات المراهقين الذين يمرون أصلاً بمرحلة انتقال كبيرة في نموهم الطبيعي ولذلك ينبغي أن ندرك أن العناية التي تحتاج إليها مجتمعات التغيرات في العناية بالناشئة أضعاف تلك التي لا تعاني من قضايا التغيير أو تخلف مرحلة الانتقال .

والمراهقة تعادل في حياتنا الاجتماعية المرحلة الإعدادية والثانوية في التعلم وبما أن هذه المرحلة هي التي تتكامل فيها عملية التنشئة الاجتماعية والتطبع الأخلاقي بحيث يصبح الناشئ فيها قد وصل مرحلة المواطنة الصالحة والقدرة على تحمل المسؤوليات الكبيرة وإدراك معنى الدور الذي تلقيه عليه الأسرة والمجتمع وتتفتح فيه القدرات والميول وتتضح معالم الشخصية من حيث النمو السلوكي الذي يميز حياته مستقبلاً تجاه المشكلات العاجلة والآجلة .

وبما أن هذه المرحلة من التعليم هي آخر فرصة للتجمع لكي تصقل موهبة المراهق العلمية ودوافعه السلوكية وذلك بإتباع أحسن السبل التي يمكن أن تستغلها المدرسة لتأدية وظيفتها من حيث شرط أساسي للتعلم الناجح والواقع أن القراءة في هذه المرحلة تحتل مكانة خاصة لأن الطفل في المرحلة الابتدائية تعلم كيف يقرأ ويكتب ومن المفروض أن يكون قد تجاوز اكتساب هذه المهارات

الأساسية أما في المدرسة الثانوية فإن القراءة هي الوسيلة لتزويد الطالب بالأفكار والتجارب الجديدة ورفع مستوى القدرة على الفهم والتمييز والحس النقدي وتصبح القراءة أسلوباً من أساليب الممارسة في المدرسة وهذا الأسلوب لا يقتصر على قراءة كتب اللغة والرياضة والتاريخ وأن تشمل كل شيء في مراحل التعليم ولكي يكون هذا الأسلوب ناجحاً يجب العناية بالكتاب كوسيلة لتحقيق هذه الغايات عن طريق القراءة والتركيز على اختيار الكتاب ينبغي أن يكون الكتاب أداة لتوصيل أو خدمة هدف معين بحيث تضمن استفادة كاملة أو استجابة ناجحة لمحتوياته .. فالكتاب هو نموذج المنهاج المدرسي والمنهاج هو حصيلة العملية التربوية والمضامين التي ينبغي توصيلها للطالب وما لم يكن هذا الكتاب مرتبطاً بالنمو العقلي والانفعالي واللغوي للطالب مع مراعاة أهمية عنصر التشوق والإثارة وضرورة الوسائل التعليمية والإيضاحية بل ومراعاة رأي الطالب في الكتاب.. فالنشاط الذهني الذي يخدمه الكتاب أشبه بالنشاط الحركي الذي يخلقه ممارسة الرياضة وبقدر ما يكون حب الطلاب لرياضة معينة مرتبطة بمعدله وتلبية حاجاته، فكذلك الكتاب يجب أن يكون مشوقاً للطالب بشد انتباهه ويجتذب اهتمامه .. إن المناقشات الحرة في موضوع مادة الدرس أحد وسائل التطبيع الاجتماعي التي تنمي شخصية الطالب فالقهر والزجر والتأنيب ورفض المناقشة يشل من قدرة الطالب على التفكير كما أن المناقشات والأسئلة مهما كانت ردود الفعل فهي ظواهر صحية يمكن أن تشذب بالإقناع والتوجيه لا الإكراه والتوبيخ

إن الاستجابة في المناقشة هي الطريق إلى الفهم كما أن الصمت السلبي خلال المناقشة دليل الفشل في وصول الفكرة بطريقة تحقق مهمة التعلم وأهمية التحصيل.

خصائص النمو الاجتماعي :

العملية التي يتحول بها الفرد إلى شخص والفرد مجرد الوجود بين الشخص الإنسان الاجتماعي ونجاح العملية يتم في أن يصبح الفرد عضواً في مجتمع الكبار يتفاعل معهم ويمارس من خلال علاقاته بهم حقوقه وواجباته .. إن النمو الاجتماعي في مرحلة المراهقة مرتبط بالضرورة بمدى سلامة النمو الاجتماعي في الطفولة ولذلك نجد هذا الجانب مرتبطاً بالنمو العاطفي الذي يعتمد على دفء العلاقة العاطفية بين الطفل وأمه والشعور بالأمن والطمأنينة داخل الأسرة والتقدير الاجتماعي بين جدران المؤسسة التعليمية في المراحل المختلفة .

تطور السلوك الاجتماعي للمراهقين :

تتلخص أهم الخطوات الرئيسية للنمو الاجتماعي عند المراهقين في المراحل التالية:

١- مرحلة التقليد: وتبدأ هذه المرحلة عندما يبلغ عمر الفرد ١٢ سنة وتوشك أن تنتهي في الخامسة عشرة من عمره وتتميز بفرط إعجاب المراهق بزملائه الشجعان الأقوياء الأذكياء الذين يتفوقون في ألعابهم ودراساتهم أو الذين يتزعمون أقرانه وزملاءه فهو لذلك ينتقل في تطوره هذا من إعجابه بأبيه إلى

إعجابه بزعيمه ويحاول جهد طاقته أن يقلد هؤلاء الأفراد وأن يقتدي بهم في سلوكه.

٢- مرحلة الاعتزاز بالشخصية : وتبدأ بعد الخامسة عشرة من العمر وتتميز بمحاولة المراهق الانتصار على زملائه في ألعابه وبمغالاته في منافستهم وبميله أحياناً إلى السلوك العدواني وبجرأته التي تتحدى بعض المخاوف القائمة ليؤكد بذلك شخصيته ومكانته ويبرهن على قوته وشجاعته .

٣- مرحلة الاتزان الاجتماعي : وتبدأ في أواخر المراهقة وقبيل البلوغ وتبدو في تخفيف المراهق من العصيان والاندفاع والتهور وفي نظرته الجديدة لهذه الأمور على أنها أعمال صبيانية لا تدل إلا على القصور والعجز .

الشخصية والنمو الاجتماعي

فترة المراهقة تشبه فترة الرضاعة حيث نجدهما يتصفان بالنمو الجسمي السريع وحدوث تغيرات رئيسية في هيئة الجسم ومظهره وكذلك فترة سنوات ما قبل المدرسة من حيث حدوث توسيع وامتداد الآفاق الاجتماعية وانبثاق الفروق الشخصية وتشبه من جانب آخر فترة الطفولة الوسطى حيث تتميز بازدياد التحرر والانطلاق من سلطان الأسرة والتبدل المستمر من الاهتمام بنشاطات المنزل إلى نشاطات واهتمامات جماعة الرفاق ونشاطات المجتمع أي أن فترة المراهقة يمكن أن نسميها بأنها تجسيد لجميع التغيرات التي حدثت في المراحل النمائية السابقة فهي امتداد لما حدث لنمو الكائن الآدمي في الماضي .

نمو العلاقات الاجتماعية الناضجة :

يعطي المراهقون انتباهاً متزايداً للانتماء لجماعة الرفاق وإلى علاقاتهم مع الجنس الآخر كجزء من نضجهم الاجتماعي وعلى الرغم من أن هذه الجوانب من العلاقات الشخصية التبادلية تتداخل إلى حد كبير بعضاً مع البعض الآخر إلا أن كل منها له تضمينات منفصلة على نمو الشخصية ومن جانب آخر فإن النضج الاجتماعي لا يؤثر فقط في كيفية تعامل المراهقين مع حاجات الجنس والأمن والألفة والمودة فقط ولكن يؤثر كذلك في كيفية شعورهم وأحاسيسهم عن أبويهم.

علاقات مفهوم الذات بالأدوار الاجتماعية :

إن الأدوار الاجتماعية واجبات مفروضة علينا وتبدأ واجبات الدور منذ فترة مبكرة من حياتنا فهناك دور الذكورة والأنوثة وهناك التأهيل وعدم التأهيل أو العجز وغير ذلك كثير من الأدوار وكل منا لديه ميل قوي لأن يلعب هذه الأدوار وتصبح محددة وواضحة بتقدم الفرد في السن ويؤدي استمرار الفرد في أداء الدور إلى زيادة عامة في تماسك الذات وحيث أن المراهقة هي الوقت الذي يحدث فيه أكبر قدر من البحث الواعي عن تطابق الذات فإن استقرار السلوك يزداد كثيراً كلما تقدم الفرد خلال فترة المراهقة والتوحد الذي يقبله المراهق هو توحد مع نفسه مع قليل من التحور في بعض الحالات ولذا فمن الضروري أن يزود البالغون الصغار بالعناصر الملائمة للتوحد في صورة الأدوار الملائمة لتقبل الذات وتقبل الآخرين قبل أن تحدث أزمات التوحد في المراهقة .

ولاء المراهقين وجماعة الرفاق :

إن أهم جوانب الحب المميزة لهذه الفترة هو الإخلاص والولاء فالأولاد يرتبطون بأعضاء الشلة برباط قوي أساسه الإخلاص والحب ، هذا الإخلاص يمتد لكل فرد في الشلة لا لأسباب شخصية ولكن لأنهم ينتمون لهذه الشلة كما أن الحب الموجه لزعيم الشلة يغلب عليه طابع الإعجاب والرغبة في الانصياع لقيادته وطاعة أوامره ولذلك فإن الإخلاص والخضوع والاحترام والإعجاب تعد خصائص أساسية في جماعة المراهقين وتوضح هذه العوامل لماذا تكون للوشاية أهمية مختلفة في الأعمار المختلفة ففي المرحلة الابتدائية يصبح من السهل علينا أن نتعرف على التلميذ المخطئ بمجرد أن نسأل التلاميذ من الذي فعل ذلك فيذكر بعض التلاميذ إن لم يكن أغلبهم حقيقة ما حدث وما شاهدوه لكن شلة المراهقين تختلف عن ذلك فولاء المراهق للشلة يدفعه إلى السكوت وعدم الوشاية بالمخطئ.

ونلاحظ أن الأمور الخلقية في مرحلة البلوغ تتصل بأمور إجرائية وليست مثالية فالإحسان مثلاً يحدده الطفل بأنه «منح نقود للناس الفقراء»، والإخلاص هو «أن تخلص للشلة» والحكم على السلوك الخاطئ لا يكون في إطار الدافع ولكن في إطار الفعل نفسه فالسرقة خطأ فقط لأنك ستعاقب عليها .

الأسرة :

يميل كثير من الناس إلى النظر إلى المراهقين باعتبارهم يمرون بفترة من الرعونة وعدم الاستقرار ومن الصراع وإن فترة المراهقة تتميز عن غيرها من الفترات بكثرة ما تمتلئ به من مشكلات تعد سمة من سمات هذه المرحلة بالذات

ولكن الاتجاه السائد يذهب إلى أن المراهقة لا تختلف عن غيرها في كثرة ما فيها من مشكلات وصعوبات في التوافق فليس هناك داع للاعتقاد بأن استجابات المراهق أشد وأقسى مما هي عليه بالنسبة لاستجابات الآخرين في مراحل العمر المختلفة وما يمكن قوله أن مشكلات وصعوبات التوافق في هذه الفترة إنما ترجع إلى افتقارهم إلى الخبرة وعدم نضجهم وهي أمور ليست وقفاً على المراهقين وحدهم ومن أهم المشكلات التي يواجهها المراهقون في حاجاتهم اليومية علاقته بالكبار المحيطين به وخاصة الوالدين ومحاولاته الاستقلال والتخلص التدريجي من سلطة الكبار فعلاقته بالكبار المحيطين به وخاصة الوالدين تتطلب منه تقبل بعض القيود التي تفرض على رغباته وشهواته كما تتطلب منه أيضاً تقبل توجيهات الكبار وأقوالهم باعتبارها نصائح موجهة إليه ورغبة المراهق في الاستقلال أمر طبيعي ومظهر من مظاهر النمو وتعرف عملية الاستقلال عن سلطة الآباء والتحرر من سلطة الآباء والكبار والاعتماد على النفس باسم الفطام النفسي وهي سمة من سمات المراهقين وفي نفس الوقت مشكلة من مشكلاتها وهذه المشكلة لا تقتصر آثارها على المراهقة وحدها بل قد تستمر مع الفرد طيلة حياته فالشخص الذي لم يحصل على الاستقلال أو الفطام النفسي قد يتقبل وضعه كطفل بل وقد يفضه على الاعتماد على النفس أحياناً وعلى الاستقلال عن سلطة الآخرين ومن هنا يبدأ سوء التوافق مع البيئة الخارجية والأمثلة كثيرة على هذه الحالة في الحياة الزوجية كالزوجة التي ترفض أن تبتعد عن أهلها وأن تنتقل إلى بلد أخرى بعيدة عنهم .

الوظيفة النفسية للمنزل :

ما من شك في أن المنزل سيظل الوحدة الأساسية الأولى التي تطبع الطفل بالآراء والقيم والمعتقدات السائدة في الأسرة والمجتمع ويبدو أثر المنزل على الطفل في نواح ثلاث:

أولاً : في ناحية الوراثة البيولوجية التي تحدد إلى حد ما الصفات التي يولد الطفل مزوداً بها كالصفات الجسمية والقدرات العقلية .. الخ .

ثانياً : في ناحية البيئة الثقافية للأسرة مثل الأفكار والقيم ومستويات الطموح التي يكون لها أكبر الأثر في تكوين الطفل بعد ذلك .

ثالثاً : ناحية الوضع الاقتصادي والاجتماعي للأسرة : مثل الدور الذي يلعبه المنزل في النمو الجسمي والرعاية الطبية والفرص التي تتاح للطفل من الناحية التعليمية والمهنية.. الخ.

هذه النواحي الثلاثة تؤكد لنا أهمية الأسرة سواء بالنسبة لنمو الطفل أو المراهق فالدور الذي يقوم به المنزل في عملية النمو النفسي أكبر في الأعمار التي يعتمد فيها الفرد اعتماداً كلياً على الأسرة ولكنه يقل بالتدريج كلما نمى الطفل وخضع لتأثير ظروف أخرى خارج نطاق المنزل وقد تقوى هذه الظروف الأخرى أو تضعف الدور الذي يقوم به المنزل ومما هوة جدير بالذكر أن الجو النفسي للأسرة له أكبر الأثر في نمو المراهق.

الاتجاهات نحو الآباء :

كلما أصبح المراهقون أكثر استقلالاً وأكثر نضجاً اجتماعياً نجد اتجاهاتهم نحو آبائهم عادةً ما تتغير فالميل المتزايد والتعاطف الذي يعطيه المراهق لجماعة الأقران وللنشاطات الجنسية الغيرية خاصة عندما يبدأ في الارتباط الثنائي بصورة شديدة ، هذا يعني بأن المراهق ليس لديه إلا القليل لكي يعطيه لأبويه وبالتالي يجب على الآباء أن يتعلموا التخلي عن بعض عواطفهم تجاه أطفالهم ومن جانب آخر فعندما يتحقق المراهق أن أبويه يشعرون بالاستياء والتضرر نتيجة استبدالهم بموضوعات حب أخرى نجد عادة ما يشعر بالذنب وبالتالي يحاول أن يبرر لذاته أسباب الارتباط النامي الذي يحدث له خارج المجال الأسري.

علاقات الوالد بالمراهق وتكوين الهوية :

إن بناء مفهوم ثابت للهوية قد يصبح ميسوراً وسهلاً بواسطة عدد من العوامل أو العناصر إن العلاقة المكافئة بين الطفل أو المراهق وكلاً من الأبوين فالأب من نفس الجنس الذي يقدم نموذج شخصي واجتماعي مؤثر والذي يجده الطفل أو المراهق مكافئ للهوية والأب من الجنس المخالف الذي يكون مؤثراً ويظهر تأييده للنموذج المقدم عن طريق الأب من نفس الجنس فإن الشاب أو المراهق الذي ينشأ في مثل هذه البيئة عادةً ما يكون لديه إدراك إيجابي ومحدد لذاته ويكون أقل ميلاً في أن يواجه صراعات في إدراك ذاته والمتطلبات الداخلية للاقتراب من النضج الجنسي والمتطلبات الخارجية للمجتمع .

وتثير الدراسات النفسية أن المراهقين الذين أعطوهم آباؤهم الرعاية الكافية يدركون أنفسهم بأن لديهم أدواراً متسقة بصورة كبيرة إذا ما قورنوا بهؤلاء المراهقين الذين لم يعطوا الرعاية الكافية من قبل والديهم حيث يرون أنفسهم كأنهم يستجيبوا بطرق متشابهة مع والديهم وأصدقائهم ومعارفهم كما أن شعور المراهق بهوية الأنا قد يكون قوياً عندما يكون سلوك كل من الوالدين تجاهه متسقاً وعندما ينظر إلى الأب على أنه قوي ولكن يتسم بالود والمحبة ويمارس ضبط معتدل وعندما تدعم الأم عملية تقمص الابن لأبيه كما أن تجنب الأم أن تكون من النوع المتطفل أو الملح في طلب الأشياء يدعم هذه العملية عند الأبناء وقد أشارت الدراسات كذلك أن مركز هوية الأنا والتغيرات في المكانة أو المركز تتغير وتتنوع بالصورة التي يتم فيها الاستقلال عن الأسرة وكذلك درجة تركيب وتعقيد المستوى الثقافي والاجتماعي العام .

العوامل المؤثرة في النمو الاجتماعي

أثر الأسرة في النمو الاجتماعي :

لا يستوي من عاش سعيداً في طفولته ومن عاش بائساً شقياً : فالطفولة التي تترعرع بين أحضان الأسرة تخضع في جوهرها للعلاقات القائمة بين الطفل وأخوته ووالديه وأهله وأقاربه وتتمخض عن مراهقة سوية أو شاذة تبعاً لنوع هذه العلاقات التي تربط الفرد بأهله وعشيرته الأقربين وهكذا يتأثر المراهق في سلوكه الاجتماعي بخبرات طفولته الماضية وبالجو المحيط به في مراهقته وبمدى خضوعه أو تحرره للجماعة التي نشأ فيها .

أثر المدرسة في النمو الاجتماعي :

البيئة الاجتماعية المدرسية أكثر تبايناً واتساعاً من البيئة المنزلية وأشد خضوعاً لتطورات المجتمع الخارجي من البيت وأسرع تأثراً واستجابة لهذه التطورات وهي لهذا تترك آثارها القوية على اتجاهات الأجيال المقبلة وعاداتهم وآرائهم وذلك لأنها القنطرة التي تعبرها هذه الأجيال من المنزل إلى المجتمع الواسع العريض .

وتكفل المدرسة للمراهق ألواناً مختلفة من النشاط الاجتماعي الذي يساعده على سرعة النمو واكتمال النضج فهي تجمع بينه وبين أقرانه ولذاته وأترابه فيميل إلى بعضهم وينفر من البعض الآخر ويقارن مكانته التحصيلية والاجتماعية بمكانتهم ويتأثر بفكرتهم عنه ويدرج نفسه في إطار معاييرهم ومستوياتهم ويتدرب على التعاون والنشاط والمناقشات والمشروعات الجماعية ويدرك بذلك مظاهر المنافسة المشروعة فيلتزم حدودها السوية .

ويتأثر المراهق في نموه الاجتماعي بعلاقته بمدرسية وبمدى نفوره منهم أو حبه لهم وتصطبغ هذه العلاقات بألوان مختلفة ترجع في جوهرها إلى شخصية المدرس ومدى إيمانه بعمله ومدى فمهمة للمراهقة وظروف رعايتها ومعالجة مشاكلها فالمدرس المسيطر الذي يأمر وينهى ويهدد ويعاقب ويزدجر ويتوعد يباعد بين تلاميذه وصداقته فيتفرقوا عنه ولا يثوبوا إليها والمدرس العادل الذي يتجاوب معهم ولا يخذلهم إذا استنصروه حري بأن يسلك بهم مسلكاً قوياً هذا وتدل دراسات أندرسون H. H. Anderson وبرور M. Brower . على أن أهم الصفات الضرورية للمدرس الناجح في علاقته الاجتماعية هي استمتاعه بمهنته وحبه لها وإيمانه برسالته وحبه لتلاميذه وميله إليهم ومقدرته على خلق جو جميل من الصداقة حوله وتحمسه لكل التطورات الصحيحة لمهنته ومواجهته لمشاكله ومشاكل تلاميذه باطمئنان وهدوء وقدرته على رؤية هذه المشاكل بالطريقة التي يراها بها المراهقون وبالصورة التي يتأثرون بها ورصانته واتزانه واتصاله المباشر بتلاميذه .

وتدل دراسات أوستن F. M. Austin ونرتون J. L. Norton على أن الميول المهنية للمراهق تتعلق بعلاقة المراهق بمدرسية وزملائه وبمدى ميله نحو المواد الدراسية المختلفة ومدى تأثر هذا الميل بتلك العلاقات هذا ويفوق تأثر المراهقات بمدرساتهن تأثر المراهقين بمدرسيهم وخاصةً في أوائل المراهقة حيث يبلغ مدى هذا التأثر أقصاه عند كلا الجنسين .

أثر جماعة النظائر في النمو الاجتماعي :

تتكون جماعة النظائر في المراهقة من أفراد تتقارب أعمارهم الزمنية والعقلية ، يؤلفون فيما بينهم وحدة متماسكة ويميزها إطار اجتماعي خاص وأسلوب معين في الحياة ويبلغ عدد أفرادها عشرة أو اثني عشر فردً وتؤثر تأثيراً قوياً على سلوك كل فرد من أفرادها وقد يفوق أثرها أثر البيت والمدرسة في هذه المرحلة من الحياة ولهذا يهتم المراهق اهتماماً بالغاً بآراء والديه أو مدرسيه ثم يتخف بعد ذلك من تبعيته وانتمائه لهذه الجماعة كلما اقترب من الرشد واكتمال النضج .

وتتميز جماعة النظائر عن غيرها من الجماعات الأخرى بمظاهر محددة من النشاط وبأسس معينة تتبعها في اختيار أفرادها وبآثار حسنة وضارة تتركها في نفوس المراهقين والمراهقات الذين ينتمون إليها.

١ـ مظاهر النشاط في جماعة النظائر :

تنهج الجماعة لنفسها مظاهر مختلفة لنشاط أفرادها وهم يجتمعون معاً للحوار والحديث أو للرحلات أو لزيارة بعض الأصدقاء أو لمشاهدة المباريات الرياضية والاستمتاع بها ، ويتأثر نشاط الفرد في جماعة ما بالتفاهم القائم بينه وبين الأفراد الآخرين وبالعرف الذي ترتضيه الجماعة لنفسها وبالعادات والتقاليد التي تفرضها الجماعة على أفرادها وبالجو الاجتماعي السائد فيها ولهذا يحاول المراهق أن يقلد زملائه في زيهم ولغتهم ولهجتهم وألفاظهم وأسلوبهم وآية ذلك كله أنه يحاول جهد طاقته أن يعمل كما يعملون وأن يذاكر كما يذاكرون وأن يستمتع بحياته كما يستمتعون .

وعندما تتكون هذه الجماعات من أفراد ينتمون إلى بيئات اجتماعية ثقافية متفاوتة فإنها تؤثر في تطور المجتمع فقد تعمل على تآلف الطبقات الاجتماعية المختلفة فتحفز أفراد الطبقات الدنيا على الطموح العلمي والاجتماعي ليصلوا إلى مستوى نظائرهم وقد تنقلب الأوضاع ويهبط مستوى الطموح في الجماعة ولهذا كان لزاماً على الدولة وعلى القائمين بالتربية في البيت والمدرسة أن يراعوا هذه الجماعات رعاية بعيدة غير مباشرة حتى يوجهوها وجهتها السوية ويستشرفوا بها على الغاية المرجوة لها .

٢ـ كيف تختار الجماعة أفرادها ؟

تدل نتائج أبحاث وليامز P. E. Williams وديموك H. S. Dimock وأنستاسي A. Anastasi على أن جماعة النظائر تشترط في الفرد الذي تضمه إليها أن يكون مخلصاً لزملائه لا يشي بهم أو يتجسس عليهم، مهذباً في سلوكه، يحافظ على كرامة أقرانه، متعاوناً معهم، يساعدهم عند الحاجة، أميناً، حازماً، يعرف كيف يضبط نفسه، مرحاً يستمتع بالفكاهة حين يسمعها أو يرويها، متآلفاً مع نظائره، محباً لهم وألا يكون فظاً مشاكساً حقوداً متعالياً على الأصدقاء والناس .

٣ـ أهميتها وآثارها :

لم يعد الفرد في مراهقته طفلاً ولم يصبح راشداً فهو لذلك في حاجة إلى جماعة تستجيب لمستوى نموه ومظاهر نشاطه تفهمه ويفهمها ولهذا يجد مكانته الحقيقية بين رفاقه وجماعة النظائر بهذا المعنى ضرب من ضروب الجماعات الضرورية لنمو المراهق نمواً اجتماعياً سوياً ولها من الأهمية ما قد يفوق أهمية الآباء والمدرسين معاً

في تنشئة الفرد وذلك لأنها تهيئ له الجو المناسب للتدريب على الحوار الاجتماعي والمهارات والعلاقات وأنها تنمي فيه روح الانتماء للجماعة وتبرز مواهبه الاجتماعية فيدرك مدى زعامته وخضوعه وحدود تآلفه ونفوره وتؤثر على نموه الخلقي وعلى درجة قبوله للمعايير والتقاليد وهي فوق ذلك كله إعداد للحياة المقبلة ومغامرة اجتماعية وإرهاص للجماعات الكبرى التي ينتمي إليها الراشد.

هذا وقد تسلك جماعة النظائر بأفرادها مسلكاً عدوانياً تجاه الجماعات الأخرى فتنحرف بنشاطها وتتعصب لآرائها تعصباً مجحفاً وقد تنبذ أحد أفرادها وذلك حينما يشذ عن نشاطها ولا يسايرها في غلوائها وقد تحوط سلوكها بالغموض والسرية وتعاني في إقامة الحدود والحواجز بينهما وبين الجماعات والأفراد وقد تميل إلى النشاط العنيف الذي ينحدر بها إلى مسالك خاطئة فتخرب ممتلكات الآخرين وتعتدي على حقوقهم .

وهكذا يدرك الفرد نفسه ومكانته في هذا الإطار الدينامي الجماعي الذي يهيمن على حياته في طور من أطور نموه ويصبغ سلوكه المقبل بصبغة قوية عميقة لها آثارها القوية على الفرد والمجتمع القائم.

الجو النفسي السائد في الأسرة :

يتأثر الفرد في نموه الاجتماعي بالجو النفسي المهيمن على أسرته وبالعلاقات القائمة بين أهله ويكتسب اتجاهاته النفسية بتقليده لأبيه وأهله وذويه وبتكرار خبراته العائلية الأولى وتعميمها وبانفعالاته الحادة التي تسيطر على الجو الذي يحيا في إطاره .

والشخصية السوية الصحيحة لا تنشأ إلا في جو تشبع فيه الثقة والوفاء والحب والتآلف والأسرة التي تحترم فردية الشخص تدربه على احترام نفسه وتساعده على أن يكون محترماً بين الناس وتوحي إليه بالثقة اللازمة لنموه وهكذا يتأثر الفرد في مراهقته بالجو الديمقراطي السائد في أسرته فينمو ويتطور في إطار مجتمع سوي يعده إعداداً صحيحاً للمجتمع الخارجي العام الذي سيتفاعل معه في رشده وشيخوخته .

والأسرة المثالية هي التي تساير نمو الفرد فتعامله في طفولته على أنه طفل ولا ترهقه من أمره عسرا ولا تحاول أن تقحم طفولته في إطار الراشدين بل تهيئ له الفرصة لكي ينمو ويستمتع بكل مرحلة يمر بها في حياته .

والأسرة المستقرة الثابتة الهادئة المطمئنة تعكس هذه الثقة وذلك الاطمئنان على حياة المراهق فتشبع بذلك حاجته إلى الطمأنينة وتهيئ له جواً مثالياً لنموه ولهذا كان للوالدين أثرهما الفعال على سلوك أولادهما .

والجو المضطرب يسيء إلى نمو المراهق وينحو به نحو الشذوذ والثورة وتعصب الأب لجيله وتزمته الشديد لآرائه ينأى به بعيداً عن صداقة أبنائه ويقيم بينه وبينهم الحدود والحواجز التي تحول بينه وبين فهمه لمظاهر نموهم الأساسية وبن الثقة الضرورية لتآلفهم ونموهم .

والأسرة التي تثور غاضبة للأسباب التافهة وتبغض الناس وتميل إلى الانتقام والغيرة لا تنشئ إلا أفراداً مرضى يعيشون في حياتهم المقبلة تحت وطأة الصراع الحاد والاضطراب الشديد .

والأب الذي يشتهر بين الناس بشدة شكيمته وحدة عارضته يستشرف بأولاده على الجنوح ويباعد بينهم وبين اكتمال النضج فإما أن يشايعه أولاده على أمره ملزمين غير مختارين ويتبعوه في غلوائه وهم عنه غير راضين وإما أن يثوروا عليه ولا يصدعوا لأمره وينصرفوا عنه ثم ينقلوا آثار هذه الثورة إلى رشدهم ويواجهوا بها كل سلطة يرتبطون معها وكل زعامة يتصلون بها .

وهكذا تترك الأسرة آثارها العميقة على حياة المراهق والراشد وتصبغها بصبغتها الهادئة السوية أو المضطربة الشاذة وتلزمها سنن الطريق وقصده فتدر عنها شرور الحياة وتربأ بها عن الخطيئة أو تميل بها إلى الفساد والمعصية والإثم .

نهاية الخلاف وتحول النزاع إلى وفاق :

تتحول علاقات الأبناء بآبائهم من النزاع إلى الوفاق في المراهقة المتأخرة التي تبدأ عندما يصل عمر المراهق إلى ١٧ سنة وتمتد حتى أوائل الرشد في ٢١ سنة وذلك عندما يدرك الآباء أن أبنائهم المراهقين قد اقتربوا من الرشد ولهم حقوقهم كما أن عليهم أن يتحملوا بحق واجبات هذه الحقوق من مسئولية إلى سلوك متزن جاد عاقل راضين وعندما يغير الآباء موقفهم من أبنائهم يسود البيت وفاق وهدوء بعد أن كان ميدان نزاع وخلاف.

ويتقبل المراهق أخوته الصغار ولا يأنف من سلوكهم الصبياني ويصبح أكثر إدراكاً وفهماً لمشكلاتهم ويعاملهم بروح الأخ الكبير التي تنطوي على ما يشبه شعور الأب بأبنائه الصغار لا بأخوته المشاغبين .

وكلما زاد الوفاق بين المراهق وأبيه زاد تبعاً لذلك تقمص المراهق لدور الأب في علاقاته مع أخوته الصغار .

ويزداد توافق الابن المراهق مع دوره الجديد في الأسرة أكثر من توافق البنت وذلك لأن دور الابن المراهق أكثر وضوحاً في المجتمعات الراهنة من دور البنت ولأن الدور القيادي للرجل أكثر شيوعاً من دور المرأة ولذا يسبق الولد البنت في التحول من النزاع إلى الوفاق لأن في هذا التحول ما يشبع رغبات الولد أكثر مما يشبع رغبات البنت.

ذروة الخلافات بين الآباء والأبناء :

يصل الخلاف بين الوالدين وأبنائهم المراهقين إلى أشده في المراهقة المبكرة أي في المرحلة التي تمتد من ١٣ سنة إلى ١٧ سنة وترجع شدة هذا الخلاف إلى إصرار الآباء والأمهات على معاملة أبنائهم على أنهم مازالوا أطفالاً وعلى مطالبتهم في الوقت نفسه بأن يتحملوا المسئولية وأن يسلكوا في حياتهم مسلك الكبار وتتزايد حدة هذه الخلافات حتى تصل إلى نهايتها العظمى فيما بين ١٤ سنة، و١٥ سنة ثم تهدأ حدتها بعد ذلك بالتدريج .

وكما ينفر الأبناء من آبائهم يتضايق الآباء من أبنائهم وذلك لأن المراهق في هذه المرحلة الحرجة من حياته يصبح صعب المراس لا يأبه للمسئولية يميل للمبالغة يثور لأتفه الأسباب لا يثبت على حال .

وترجع أسباب الخلاف بين المراهقين وآبائهم إلى ثلاثة عوامل رئيسية أولها: ما يفرضه الآباء من قيود على المراهقين لإقرار الحزم وتدريبهم على النظام وما يصحب هذه القيود من ثورة المراهقين عليها ورفضهم إياها وهم يحسبون بذلك أنهم جاوزوا هذه القيود الصبيانية التي يجب ألا تفرض عليهم، وثانيها: مبالغة المراهق في نقده لوالديه ولأخوته ولحياته العائلية والآباء الذين ضحوا في سبيل أبنائهم ليحققوا لهم حياة كريمة يرون في هذا النقد نوعاً من العقوق، وثالثها: ينبع من نوع الحياة الاجتماعية التي يحياها الفرد في مراهقته وخاصة في اختلاط المراهق بالجنس الآخر والأماكن الغريبة التي يرتادها والملابس الشاذة التي يرتديها وحاجته الملحة لمزيد من المال ليتابع هواياته ويساير بذلك نزوات رفاقه.

المستوى الاجتماعي – الاقتصادي للأسرة :

تدل دراسات بلوكسما D. D. Blocksma على أن للمستوى الاجتماعي الثقافي الاقتصادي للأسرة أثراً عميقاً على سلوك المراهقين وعلى نموهم الاجتماعي ولهذا يختلف سلوك الفرد تبعاً لاختلاف المدارج المختلفة لأسرته ذلك لأن لكل طائفة من الطوائف الاجتماعية أسلوباً معيناً في الحياة ونمطاً خاصاً في السلوك .

وللبيئة المباشرة المحيطة بالأسرة أثر قوي على مستوياتها المختلفة وعلى تحديد بعض نشاط أفرادها ولهذا كان لسلوك أفراد الأسر الغنية نمط يختلف عن سلوك أفراد الأسر الفقيرة وكان لسلوك أفراد الأسر المتعلمة نمط يختلف عن سلوك أفراد الأسر الجاهلة هذا وترتبط هذه المستويات من قريب بالمعايير الاجتماعية والقيم المرعية وبمدى تفاعل الفرد معها وإيمانه بها وخضوعه لها أو عزوفة عنها ومن الناس فريق يستقيم سلوكه في مستوى معين ولا يستقيم في المستويات الأخرى ومنهم من يستطيع أن يتكيف مع عدد كبير من المستويات المختلفة .

شكل (٥)

النمو الاجتماعي والعوامل المؤثرة فيه والخصائص الناتجة عنها

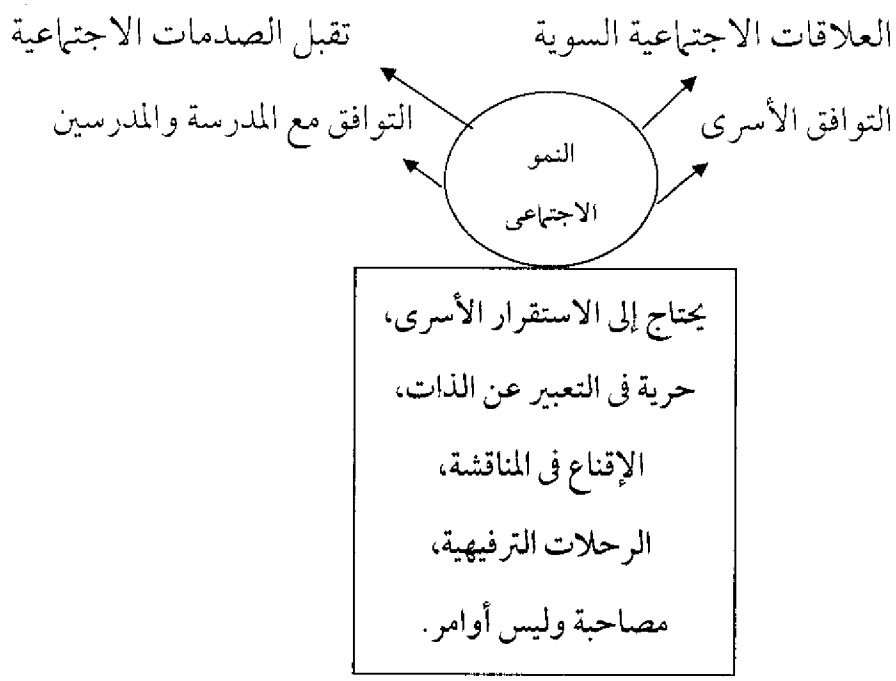

تعقيب وتوصيات

توافق المراهق مع مجتمعه دليل على صحته النفسية السوية .ومن علامات المراهق المتوافق ما يلى:

الاعتدال والهدوء النسبي والميل للاستقرار والإشباع المتزن وتكامل الاتجاهات والاتزان العاطفي والخلو من العنف والتوترات الانفعالية الحادة ، والتوافق مع الوالدين والأسرة . والتوافق الاجتماعي والرضا عن النفس، وتوافر الخبرات فى حياة المراهق وعدم الإسراف فى الخيالات وأحلام اليقظة، وعدم المعاناة من الشكوك الدينية .

ولذا على الآباء والمربين لكي يتحقق ذلك فى أبنائهم مراعاة ما يلي :

المعاملة الأسرية السمحة التي تتسم بالحرية والفهم واحترام رغبات المراهق. وحرية التصرف فى الأمور الخاصة والاستقلال النسبي وعدم تدخل الأسرة فى شئونه الخاصة، وإشباع الهوايات. وتوفير جو من الصراحة والثقة بين الوالدين والمراهق. وشعور المراهق بتقدير والديه واعتزازهما به، وشعوره بتقدير أقرانه وأصدقائه ومدرسيه وأهله، وشغل أوقات الفراغ بالنشاط الاجتماعي والرياضي، وسلامة التكوين الجسمي والصحة العامة، والتفوق الأكاديمي والنجاح الدراسي. والتدين والإحساس بالمسئولية الاجتماعية وممارستها، وإتاحة فرصة الحياة الاستقلالية والاعتماد على النفس، ووجود القدوة الصالحة.